" الأمويون والبحر الأبيض المتوسط "

أ.د. عامر جادالله أبو جبلة

استاذ بقسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية

جامعة مؤت - الأردن

ملخص بحث:

يتناول هذا البحث كل ما له علاقة بالأمويين والبحر الأبيض المتوسط مع التركيز على الفترة من ٤١.-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م. من حيث صراع الأمويين البحري مع البيزنطيين والحروب البحرية التي حدثت خلال هذه الفترة بين الطرفين، فضلا عن استعدادات الأمويين من حيث بناء أسطولهم البحري الحربي وما يتصل فيه من موانئ لصناعة السفن ومستلزماتها في سواحل الشام ومصر، إضافة إلى المصطلحات العسكرية البحرية المرتبطة بذلك التي سادت في ذلك العصر كأسماء السفن وأنواعها والتي استخدمت في المعارك البحرية في تلك الفترة، كما يشتمل البحث على إظهار دور أبرز الأسماء العسكرية والقادة العسكريين الذين كان لهم دور فعال في حماية سواحل كل من بلاد الشام ومصر من هجمات البيزنطيين البحرية.

Abstract

The Umayyads and the Mediterranean

Prof. Dr. Amer Jadallah Abu Jableh / Department of History / Mutah University / Jordan

This research deals with everything related to the Umayyads and the Mediterranean, with a focus on the period from 41 - 132 AH / 661-750 AD..

In terms of the Umayyad naval conflict with the Byzantines and the naval wars that took place during this period between the two parties, as well as the Umayyad preparations in terms of building their naval fleet and related ports for the manufacture of ships and their supplies in the coasts of Levant and Egypt, in addition to the naval military terms associated with that that prevailed in That era, such as the names of ships and their types, which were used in the naval battles in that period. The research also includes showing the role of the most prominent military names and military leaders who had an active role in protecting the coasts of both the Levant and Egypt from the Byzantine naval attacks.

" خطة البحث "

أولاً : تمهيد

ثانياً : الغزوات البحرية (٤١ – ١٣٢ هـ / ٦٦١– ٧٥٠ م)

ثالثاً : الموانئ ودور الصناعة

رابعًا : أنواع السفن .

خامسًا: القادة البحريون

سادسًا: الخاتمة

سابعًا : المصادر والمراجع

أولاً : تمهيد :

يقول ابن خلدون: " فلمّا استقر الملك للعرب، وشمخ سلطانهم وصارت أمم العجم خولاً لهم ، وتحت أيديهم، وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته، واستخدموا النواتية في حاجاتهم البحرية أمماً وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته واستحدثوا بصراء به فشرهوا إلى الجهاد فيه، وأنشأوا السفن فيه والشواني (المراكب البحرية الحربية) وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح ، وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وأفريقية والمغرب والأندلس ."(١)

إلا أنه منذ أن أصبحت السيادة للمسلمين على بلاد الشام ومصر ابتداءً انتهج الخليفة عمر بن الخطاب سياسة بحرية دفاعية لمواجهة الخطر البيزنطي غلى ثغور المسلمين، فاهتم بتحصين السواحل وترتيب المقاتلة فيها وإقامة الحرس على مناظرها، خاصة وقد ورث المسلمون مدناً وموانئ ساحلية هامة مثل غزة وعسقلان، وعكا، وصور، وبيروت، وجبيل، واللاذقية، وجبلة، وانطرسوس، وقيسارية، وكذلك الإسكندرية. (٢)

ويشار إلى أول أن من ركب البحر الأبيض المتوسط من المسلمين غازيًّا بأسطول بحري هو معاوية بن أبي سفيان، والي عثمان بن عفان على الشام، ويذكر أنه استعمل على البحر عبدالله بن قيس الحارثي، حليف بني فزارة، الذي غزا خمسين غزوة من بين شاتية وصائفة في البحر ولم ينهزم . (٣)

---

(١) ابن خلدون (عبد الرحمن) ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبدالله درويش، ط١، دار العرب، دمشق، ٢٠٠٤، ج١، ص ٤٣٧، وحسن شهاب الدين، فن الملاحة عند العرب، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء،دار العودة، ط١، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٠ .

(٢) البلاذري (أحمد بن عيسى) ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م، فتوح البلدان، تحقيق : صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٥٦، ج١، ص١٥٢، وانظر : السيد عبد العزيز سالم، واحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩ م ص ١٦ – ١٧ .

(٣) الطبري (محمد بن جرير) ت ٣١٠ هـ /٩٢٢م ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ١١ج، دار المعارف، ط٢، مصر، ١٩٦٧ م، ج٥، ص ٥١ –٥٣، والبلاذري،(ت ٢٧٩ هـ /٨٩٢م م)، فتوح البلدان، تحقي عبدالله الطباع، مؤسسة المعارف، ط١، بيروت، ١٩٨٧ م، ص ١٩٥، ١٦١ .

ويذكر أن معاوية بن أبي سفيان كان قد جاءه توجيه من الخليفة عثمان بن عفان سنة ٢٧هـ/٦٤٧م "أن إذا: ركب البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذوناً لك وإلّا فلا " فركب معاوية البحر من عكا ومعه مراكب كثيرة، وحمل معه امرأته فاخته بنت قرظة، وحمل عبادة بن الصامت امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصاري، وذلك سنة ٢٨هـ/٦٤٨م، بعد انحسار الشتاء، فسار المسلمون إلى قبرص، وهي جزيرة في البحر، وتم الصلح مع حاكمها على سبعة آلاف ومائتي دينار يؤدونها كل عام، وشروط أخرى، ولكن في سنة ٣٢هـ /٦٥٢م، قام أهل قبرص بإعانة الروم في البحر بمراكب، ولذلك قام معاوية بغزوهم في عام ٣٣هـ/٦٥٣م، وكان معه خمسمائة مركب، ففتح قبرص عنوة ، فقتل وسبى، ثم أقرهم على صلحهم، وبعث إليها من يستوطنها من المسلمين وغيرهم، ويذكر أن أسطول مصر بقيادة عبدالله بن أبي سرح قد اشترك في غزو قبرص تحت لواء معاوية بن أبي سفيان. (٤) ولذلك فإن من الواضح أن معاوية بن أبي سفيان كان أول من تولى إنشاء أسطول حربي يواجه فيه القوة والأسطول البحري البيزنطي الذي كان يهدد سواحل بلاد الشام ومص، فكان معاوية بن أبي سفيان والياً على جندي دمشق والأردن بداية، فأخذ الأسطول الإسلامي منذ ذلك الوقت زمام المبادرة والتفوق على الأسطول البيزنطي، فأخذ يهاجم الجزر ويرسل الحملات البحرية إلى سواحل بيزنطة.(٥) ثم تتابعت غزوات معاوية في البحر ، فيذكر الطبري أن معاوية قام في سنة ٣٢هـ/ بغزو مضيق القسطنطينية، وكانت برفقته زوجته(٦).

---

(٤) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٢٦٢،وانظر ص ٢٥٨، ٢٦٠، والواقدي،،فتوح البلدان، ص ١٥٧ وما بعدها، البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٦٠، وأنظر : طاهر حبوش، أوائل العرب عبر العصور (العصر الأموي) ج٣، بغداد ١٩٩١ م، ص ٢٩، ٣٠، وفتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ج٢، ص ٢٨، ٤٥ .

(٥) انظر : أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص ٨٧ – ٩٠، ومحمد المناصير، الجيش الإسلامي في العصر العباسي الأول، مجدلاوي، ط١، دار عمّان، ٢٠٠٠ م، ص ١٨٦ .

(٦) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٣٠٤، وابراهيم العدوي، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، ص ٥٣ .

كما أحرز الأسطول الإسلامي انتصاراً باهراً في السيطرة على مياه البحر المتوسط الشرقي سنة ٣٤هـ/ ٦٥٥م، بعد معركة ذات الصواري التي وقعت قرب شواطئ ليكيا بآسيا الصغرى، وانتصر فيها المسلمون.(٧) ويذكر أن الأسطول المصري قد شارك مع الأسطول الشامي في معركة ذات الصواري بقيادة عبدالله بن أبي سرح حيث انطلق من الإسكندرية، فالتقى بالأسطول البيزنطي في البحر المتوسط، ويشار إلى أن الأسطول البيزنطي كان قد تألف من ألف مركب أو سبعمائة مركب، وأسطول المسلمين كان قد مائتي مركب، كان النصر إلى جانب المسلمين في تلك المعركة المشهورة. (٨)

ثانيًا : الغزوات البحرية (٤١ – ١٣٢ هـ /٦٦١– ٧٥٠ م) :

لا تذكر غزوات بحرية بين ٣٤هـ – ٤٣هـ، ويبدو أن مرد ذلك يرجع إلى مهادنة معاوية للبيزنطيين أثناء صراعه السياسي مع علي بن أبي طالب والتفاته لتحقيق الاستقرار الداخلي للدولة ، ويبدو أنه عندما استتب الأمن واطمأن للأحوال الداخلية ، استأنف معاوية نشاطه البحري ضد البيزنطيين، فيشار إلى أن بسر بن أرطأة كان قد غزا البحر زمن معاوية سنة ٤٤هـ /٦٦٤م . (٩)

(٧) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٢٩٠ – ٢٩٢، وابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ١١ج، تحقيق : أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م، ج٢، ص ٣٢٨، وابن عبد الحكم (٢٥٧هـ/٨٧٠م) فتوح مصر، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩٦١، ص ٢٥٥ .

(٨) ابن تغري بردي (ت٨٧٤ هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة، دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٢٩ م ج١، ص ٩١، والذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) تاريخ الإسلام، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الناشر العربي، ط٢، ١٩٩٠، ج٣، ص ٤٢٠، وأبو زرعة الدمشقي (عبد الرحمن بن عمر) ت ٢٨١هـ /٨٩٤م تاريخ أبي زرعة الدمشقي، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٦، ص ٤١ .

(٩) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ، ص ٤٤ ، وانظر : نبيه عاقل ، تاريخ خلافة بني أمية ، دار الفكر ، ط٣ ، دمشق ، ١٩٧٥ م ، ص ٨٥ .

كما أغزى معاوية بن حديج جيشاً في البحر إلى صقلية، في مائتي مركب، فسبوا وغنموا، وأقاموا شهراً ثم انصرفوا إلى إفريقية بغنائم كثيرة، ثم عاد معاوية بن حديج إلى مصر تاركاً مكانه في طرابلس الغرب سنة ٤٦هـ/٦٦٦م رويفع بن ثابت الأنصاري ، الذي غزا إفريقية ودخلها سنة ٤٧هـ/ وفتح جزيرة جربة التي يسكنها البربر(١٠)

وفي سنة٤٧هـ /٦٦٧م، أمر معاوية بن أبي سفيان عقبة بن عامر بغزو رودس، ومعه مسلمة بن مخلد، وخرجا إلى الإسكندرية، ثم توجها في البحر، فلما سار عقبة في البحر استولى مسلمة على سرير إمرته . (١١)

ولما ولي مسلمة مصر سنة ٤٧هـ/٦٦٧م، انتظمت غزواته في البر والبحر. (١٢)، ويذكر أنه في سنة ٤٨هـ/٦٦٨م، غزا مالك بن هبيرة السكوني البحر ، دون تحديد الوجهة البحرية لهم، التي تم غزوها، وكذلك غزا عقبة بن نافع الجهني بأهل مصر وبأهل المدينة البحر أيضاً . (١٣)

وفي سنة ٤٩هـ/٦٦٩م، غزا عقبة بن نافع الجهني البحر ، فشتا بأهل مصر (أي غزوة في الشتاء)، وكذلك غزا يزيد بن شجرة الرهاوي البحر فشتا بأهل الشام ، ثم غزا فضالة بن عبيد جزيرة جربة وشتا بجربة ،(١٤) ثم قام فضالة بن عبيد بغزوة ضد البيزنطيين في البحر وذلك سنة ٥٠هـ /٦٧٠م. (١٥) فضلا عن أن يزيد بن معاوية كان قد غزا أرض الروم في هذه السنة (٥٠هـ) برا وبحرا ، وقاتلوا أهل القسطنطينية ، ثم قفل . (١٦)

---

(١٠) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٣٧ ، وعلي الصلابي ، معاوية بن أبي سفيان ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، (د. ت) ص ٣٨٠ .

(١١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص ١٢٧ ، وانظر الذهبي ، تاريخ الإسلام ج٤ ، ص ٢٧٨.

(١٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص ٣٣ ، ١٣٧ .

(١٣) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ، ص ٢٣١ ، وانظر نبيه عاقل ، تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٨٦ .

(١٤) الطبري ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٣٢ .

(١٥) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص ٢٣٤ .

(١٦) الذهبي تاريخ الإسلام، ج٤، ص٢٢ ، وانظر: أبو زرعة الدمشقي، تاريخ أبي زرعة ، ص ٤٢ .

وقام جنادة بن أبي أمية الأزدي في سنة ٥٣هـ /٦٧٢م بفتح جزيرة رودس في البحر المتوسط، فنزلها المسلمون، وزرعوا فيها ، واتخذوا بها أموالاً وحواشي يرعونها في أطراف الجزيرة ، فإذا أمسوا أدخلوها الحصن، ولهم مراقب يحذرهم من الأخطار المحيطة بالجزيرة من الروم ، وكان المسلمون يتعرضون في هذه الجزيرة لسفن الروم في البحر . (١٧)

ثم قام جنادة بن أبي أمية بفتح جزيرة أرواد سنة ٥٤هـ/٦٧٣م، وهي قريبة من القسطنطينية، وكان المسلمون قد أقاموا بجزيرة أرواد مدة سبع سنين، بعد فتحها على يد جنادة. (١٨) كما قام يزيد بن شجرة الرهاوي سنة ٥٦هـ /٦٧٥م بغزوة بحرية ضد البيزنطيين، وقيل إنه قتل سنة ٥٨هـ /٦٧٧م في إحدى غزواته البحرية. (١٩) ويذكر أن عمر بن يزيد الجهني كان قد غزا في البحر ضد البيزنطيين وذلك سنة ٥٧هـ/٦٧٦م(٢٠)

ويشار إلى جنادة بن أبي أمية ونشاطه في البحر سنة ٥٨هـ/٦٧٧م ومواجهته للبيزنطيين، وكذلك قي سنة ٥٩ هـ٦٧٨م، ومواجهة البيزنطيين عند جزيرة رودس، ومعه من القادة علقمة بن جنادة الحجري، وعلقمة بن الأختم . (٢١)

وكانت الإسكندرية كميناء مهم لمصر على البحر المتوسط آنذاك، مقراً ومكاناً لإدارة الشؤون البحرية لولاتها، ففي سنة ٧٤هـ/٦٩٣م، هبط عبد العزيز بن مروان إلى الإسكندرية، وفي سنة ٧٥هـ/٦٩٤م، خرج عبد العزيز بن مروان إلى الشام، وهبطها مكانه خبّاب بن مرثد . (٢٢)

---

(١٧) الذهبي تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ٢٨٨، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٣٠، وانظر: علي الصلابي ، معاوية بن أبي سفيان ، ص ٤٢٢ ، نبيه عاقل ، تاريخ خلافة بني أمية، ص ٨٦ .

(١٨) الطبري، تاريخ، ج ٥ ، ص ٥٩٣ ، و البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٣٠ ، وانظر نبيه عاقل ، تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٨٦ .

(١٩) الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٣٠١ .

(٢٠) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١، ص ١٤٨، ١٤٩ .

(٢١) الطبري، تاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٠٩، و خليفة بن خياط، تاريخ ، ص ٤٢٧ .

(٢٢) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٢٧٠ .

ويذكر أن عبد الواحد بن أبي الكنود كان قد قاد في سنة ٨٠ هـ /٦٩٩ م، حملة بحرية ضد الروم في البحر المتوسط حتى بلغ قبرص . (٢٣)

وفي سنة ٨٣هـ/٧٠٢م، غزا عطاء بن رافع صقلية، كما خرج عمران بن شراحيل على البحر.(٢٤)

ويذكر أن موسى بن نصير سنة ٨٦هـ/٧٠٥م، كان قد وجه المغيرة بن أبي بردة العبدي في مراكب فافتتح أوليه، وهي أول مدائن صقلية، ويبدو أن هذه آخر غزوة بحرية كانت زمن الخليفة عبد الملك بن مروان. (٢٥)

وفي زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان، استؤنفت الغزوات البحرية الإسلامية في البحر المتوسط ، ذلك أن القائد موسى بن نصير كان قد وجه سنة ٨٧هـ/٧٠٥م ابنه عبد الله بن موسى بن نصير لغزو سردينية، ثم وجه عبدالله بن حذيفة الأزدي لغزو سردينية أيضاً في السنة نفسها، فغنم وأصاب سبياً وغنائم(٢٦) كما يشار إلى مسلمة بن عبد الملك بأنه كان في سنة ٨٧هـ/٧٠٥م، قد افتتح فيعم (قمقم) وبحيرة الفرسان، حتى بلغ جيشه قلوذيما ثلس، فقتل وسبى. (٢٧)

وقام موسى بن نصير في سنة ٨٩هـ/٧٠٧م، بإرسال ابنه عبدالله ليغزو ميورقة، ومنورقة، وهما جزيرتان بين صقلية والأندلس وافتتحهما، وتدعى هذه الغزوة، بغزوة الأشراف، إذا كان معه في هذه الحملة أشراف الناس. (٢٨)

---

(٢٣) الذهبي تاريخ الإسلام ، ج ٥ ، ص ٣٤٢، وانظر: ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج١، ص ٢٠٠.
(٢٤) الذهبي تاريخ الإسلام ، ج ٦ ، ص ١٨ .
(٢٥) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٢٩٢ .
(٢٦) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠٠ .
(٢٧) المصدر نفسه ، ص ٣٠١ .
(٢٨) المصدر نفسه ، ص ٣٠٢ ، وانظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢١٦ ، و الذهبي تاريخ الإسلام ، ج ٦ ، ص ٣٤ .

وفي سنة ٩٠هـ/٧٠٨م، أَسَرَت الروم خالد بن كيسان "صاحب البحر" فذهبوا به إلى ملكهم(٢٩) البيزنطي فأرسله إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك، وهذا دليل على رغبة الامبراطور البيزنطي في استرضاء خليفة دمشق ليثنيه عن غزو بحري للقسطنطينية، ولكن الخليفة الوليد كان يتابع تحركات البيزنطيين المعادية للأسطول البحري الإسلامي في البحر المتوسط، فأوكل المهمة لأخيه مسلمة بن عبد الملك للتحضير والتخطيط لمحاصرة القسطنطينية. إلا إن ذلك قد تم في زمن أخيه سليمان بن عبد الملك الذي تولى الخلافة من بعده. (٣٠) ويذكر الطبري أن بداية غزو موسى بن نصير للأندلس كان سنة ٩١ هـ/٧٠٩ م. (٣١)

وفي سنة ٩٢هـ/٧١٠م، وجه موسى بن نصير مولاه طارق بن زياد فأتى طنجة وهي على ساحل البحر، وعبر إلى الأندلس، فلقيه ملكها، فقتل وسبى وأسر، فتم فتح جزيرة الأندلس في اثني عشر ألفا تم حملهم إلى الأندلس في السفن، وانتصر فيها جيش المسلمين على جيش لذريق حسب تقدير ابن خلدون (٣٢). ويشار كذلك إلى أن جيش موسى بن نصير البحري قد سيطر أيضاً على جزيرة سردينية في سنة ٩٢هـ/٧١٠م، وهي جزيرة في البحر المتوسط للبيزنطيين، وهي من أكبر جزائر البحر، قال الذهبي: " فأخذوها وغنموا وغرقوا عن آخرهم"(٣٣).

(٢٩) الطبري ، تاريخ ، ج ٦ ، ص ٢٤٢ .
(٣٠) انظر : نبيه عاقل ، تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٢٢٢ .
(٣١) الطبري ، تاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٥٤ .
(٣٢) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠٤ ، وانظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٢٥ ، و الطبري ، تاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٦٨ ، والواقدي ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٣ ، و ابن خلدون ، المقدمة ، ج٤ ، ص ١١٧ ، و نبيه عاقل ، تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٢١٤ .
(٣٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٢٥ ، وانظر : الذهبي تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٢٥٦ .

وقام العباس بن الوليد في سنة ٩٤ هـ /٧١٢ م، بغزو أرض الروم فافتتح أنطالية، وقارطة على ساحل البحر، قال الذهبي: " فافتتح مدينتين من الساحل".(٣٤)

وفي فترة الخليفة سليمان بن عبد الملك ، قام عمر بن هبيرة سنة ٩٧ هـ /٧١٥ م، بغزو الروم في البحر، وذلك في فصل الشتاء.(٣٥) ثم في سنة ٩٨ هـ /٧١٦ م، حوصرت القسطنطينية من قبل الأسطول الإسلامي (فشتى مسلمة بن عبد الملك في ضواحي الروم، وشتى عمر بن هبيرة الفزاري في البحر في ألف مركب، فسار مسلمة من مشتاه حتى صار إلى القسطنطينية في البحر والبر، فجاوز الخليج، وافتتح مدينة الصقالبة ، وخرّب مسلمة ما بين الخليج والقسطنطينية ، وفيها أصيب عبدالله بن شراحيل. (٣٦)

وكان الأسطول الإسلامي يتألف من ١٨٠٠ سفينة كبيرة عدا عن السفن الصغيرة الأخرى، واحتل الأسطول الإسلامي مضيق البوسفور الجنوبي، لقطع الاتصال بين المدينة وبحر مرمرة وبحر إيجة وفي مطلع الربيع من حصار المسلمين للقسطنطينية وصلت لمسلمة بن عبد الملك القائد العام نجدات بحرية وبرية فقد جاء أسطول من مصر وآخر من شمال إفريقية، واستخدم المسلمون النفط، وسلاحا يشبه المدفعية في حصار القسطنطينية.(٣٧) وتوفي الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩هـ/٧١٧م، والأسطول البحري يحاصر القسطنطينية، ولما تولى الخليفة عمر بن عبد العزيز في سنة

([٣٤]) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠٦ ، و الذهبي تاريخ الإسلام ، ج ٦ ، ص ٢٦١ .

([٣٥]) الطبري ، تاريخ ، ج ٦ ، ص ٥٢٤ ، و ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

([٣٦]) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣١٥ – ٣١٦ ، و الذهبي تاريخ الإسلام ، ج ٦ ، ص ٢٦٩ ، وانظر : نبيه عاقل ، تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٢٤٦ .

([٣٧]) انظر : نبيه عاقل ، تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٢٤٩ – ٢٥٠ .

٩٩هـ/٧١٧م، الخلافة أذن للجيش البحري والبري بالقفول ، وذلك بسبب تعرّض الأسطول الإسلامي لخسارة كبيرة في البحر. (٣٨) ويلاحظ أن الروم بعد فشل المسلمين في فتح القسطنطينية أخذوا بمهاجمة ثغور المسلمين في الشام، فركزوا غاراتهم البحرية على اللاذقية سنة١٠٠ هـ/٧١٨م، على الساحل الشامي.(٣٩) وفي زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م، أغزى يزيد بن أبي مسلم (والي إفريقية) محمد بن أوس الأنصاري في البحر، ليغزو جزيرة صقلية ، فغنم وسبى وسلم.(٤٠) كما قام بشر بن صفوان (والي إفريقية) بتوجيه يزيد بن مسروق اليحصبي سنة ١٠٣هـ/٧٢١م لغزو جزيرة سردينية، فغنم وسلم (٤١) وقام بشر بن صفوان (والي إفريقية) بتوجيه عمرو بن فاتك الكلبي سنة١٠٤هـ/٧٢٢م لغزو البيزنطيين في البخر، فغنم وسلم.(٤٢) وبعد أن تسلم الخليفة هشام بن عبد الملك الخلافة في سنة ١٠٥هـ/٧٢٣ م، واصل الأسطول الإسلامي نشاطه في البحر ضد البيزنطيين فيذكر أن بشر بن صفوان(والي إفريقية) قد وجه محمد بن أبي بكر مولى بني جمح سنة ١٠٦ هـ /٧٢٤ م،لغزو جزيرتي كورسيكا، وسردينية.(٤٣) ويشار إلى غزو معاوية بن هشام في سنة ١٠٧هـ /٧٢٥م، ومعه أهل الشام في البحر مع البيزنطيين، حيث عبر البحر إلى قبرص، ومعه ميمون بن مهران. (٤٤) ويذكر أن بشر بن صفوان (والي إفريقية) كان قد وجه قثم بن عوانه الكلبي لغزو

(٣٨) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٢٠ .
(٣٩) انظر : نبيه عاقل ، تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٢٥١ .
(٤٠) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٢٦ .
(٤١) المصدر نفسه ، ص ٣٢٨ .
(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣٠ .
(٤٣) المصدر نفسه ، ص ٣٣٦ .
(٤٤) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٤٠ ، و ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

البيزنطيين في البحر، فغنم وسلم، وذلك سنة ١٠٨ هـ /٧٢٦ م. (٤٥) وفي سنة ١٠٩هـ /٧٢٧ م، أغزى بشر بن صفوان من إفريقية القائد حسان بن محمد بن أبي بكر مولى بني جمح، جزيرة سردينية ، فغنم وسلم. (٤٦) وفي السنة نفسها أي ١٠٩ هـ، تولى إفريقية عبدالله بن الحبحاب لهشام بن عبد الملك ، فسير جيشاً إلى صقلية فلقيتهم مراكب الروم فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم الروم. (٤٧) ولعل عبدالله بن عقبة بن نافع الفهري كان على رأس هذه الحملة، وفي رواية أخرى كان على جيش البحر (الأسطول) عبد الرحمن بن معاوية بن حديج . (٤٨) وتولى إفريقية لهشام بن عبد الملك سنة ١١٠ هـ /٧٢٨ م ،عبيدة بن عبد الرحمن الذكواني من بني سليم، فوجّه عثمان بن أبي عبيدة على سبعمائة، فقصد سراقس ، مدينة صقلية ، فلقوه ، فأسر بطريق الروم، وهزمهم. (٤٩) وفي سنة ١١١ هـ /٧٢٩م، كان على جيش البحر (الأسطول) عبدالله بن أبي مريم. (٥٠) كما أغزى عبيدة بن عبد الرحمن (والي إفريقية) في هذه السنة المستنير بن الحارث في ثمانين ومائة مركباً ، فحاصر الروم في البحر ، فهجم الشتاء، وجاءت ريح عاصف ، فغرقت مراكبهم، فلم يسلم منهم إلا سبعة عشر مركبا. (٥١) وقام والي إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن سنة ١١٢هـ /٧٣٠م، بتوجيه ثابت بن خثيم من أهل الأردن، لغزو صقلية، فأصاب سبايا وغنائم، وسلم، (٥٢) كما وجه أيضًا في سنة ١١٢هـ/٧٣٠م، من إفريقية

(٤٥) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٣٨ .
(٤٦) المصدر نفسه ، ص ٣٣٩ .
(٤٧) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .
(٤٨) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٤٦ ، ٥٤ .
(٤٩) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٤٠ .
(٥٠) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٦٧ ، و ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٧٠ .
(٥١) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٤١ ، و الذهبي تاريخ الإسلام ، ج ٧ ، ص ٣٠٣ .
(٥٢) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٤٣ .

القائد البحري عبدالله بن قطن، فهاجم صقلية ، فغنم وسلم ، كما أغزى أيضا عمران الهذلي، فغنم وسلم . (٥٣) وكذلك في سنة ١١٤هـ/٧٣٢م، قام والي إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن بتوجيه عبدالله بن قطن أيضا لغزو صقلية، فغنم وسلم، كما وجه عبدالله بن زياد الأنصاري لغزو سردينية، فغنم وسلم.(٥٤) وفي سنة ١١٥ هـ /٧٣٣ م، وجه والي إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن أيضا بكر بن سويد ، فغزا صقلية ودربانة، فلقيه الروم فرموا مراكبه بالنار. (٥٥) ومع تسلم والي إفريقية الجديد عبيدالله بن الحبحاب قام في سنة ١١٦هـ/٧٣٤م، بتوجيه عثمان بن أبي عبيدة لغزو صقلية، فأصاب منها وقفل، فلقيتهم مراكب الروم في البحر، فهزمهم الله، وأصابوا من المسلمبن، وأسروا ابني عثمان عمراً وسليمان أبا الربيع، وعبد الرحمن بن زياد، وابن أنعم ، وأخاه المغيرة بن زياد ، فلم يزالوا في أيد الروم حتى ولي عبد الرحمن بن حبيب، ففدى ابني عمه وناساً من أسارى المسلمين، وعبدالله بن زياد، وذلك سنة ١٢١هـ/٧٣٨م، بعد أن قضوا في الأسر خمس سنين. (٥٦) ثم أرسل عبيد الله بن الحبحاب (والي إفريقية) سنة ١١٧هـ/٧٣٥م، حملة بحرية بقيادة حبيب بن أبي عبيدة، لغزو جزيرة سردينية ، فأصاب قرية منها، وأثخن في القتل فيهم، وكذلك السبي. (٥٧) ثم قام عبيد الله بن الحبحاب (والي إفريقية) سنة ١١٨ هـ/٧٣٦م ،بتوجيه قثم بن عوانة الكلبي لغزو صقلية ، فأصاب أولية من صقلية، وأحاط به الروم ، ثم فكوا عنه الحصار. (٥٨) كما قام والي إفريقية عبيد الله بن الحبحاب في

---

(٥٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤٥ .
(٥٤) المصدر نفسه ، ص٣٤٥ .
(٥٥) المصدر نفسه ، ص ٣٤٧ .
(٥٦) المصدر نفسه ، ص ٣٤٧ ، وانظر : الذهبي تاريخ الإسلام ، ج ٧ ، ص ٣١١ .
(٥٧) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٤٨ .
(٥٨) المصدر نفسه ، ص ٣٤٩ .

سنة ١١٩ هـ/٧٣٧ م،بتوجيه قثم بن عوانة أيضاً ليغزو جزيرة سردينية في البحر، فأصاب قلعة من جزيرة سردينية، ولكنه غرق في مراكب من المسلمين، وسلم بعضهم. (٥٩) ويذكر خليفة بن خياط أن الغزو في البحر من إفريقية كان قد توقف في سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م. (٦٠) ولكن الغزو في البحر من إفريقية استؤنف في سنة ١٢٢هـ /٧٣٩ م، إذ وجه والي إفريقية عبيد الله بن الحبحاب، القائد حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة الفهري لغزو صقلية، ويذكر أنه ظفر ظفرا ما سمع بمثله، وسار حتى نزل على أكبرمدائن صقلية، وهي مدينة سرقوسة. (٦١) وفي سنة ١٢٥ هـ/٧٤٢م، أغزى الخليفة الوليد بن يزيد أخاه الغمر بن يزيد بن عبد الملك، فأمر على جيش البحر (الأسطول) الأسود بن بلال المحاربي ، وأمره أن يسير إلى قبرص. (٦٢) وفي أواخر العهد الأموي، ومع هروب واختفاء آخر خليفة أموي، وهو مروان بن محمد سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م، قام أبو العباس السفاح العباسي ، بتوجيه صالح بن علي في طلب مروان بن محمد، والقبض عليه، فسار، فنزل الرملة، ثم سار فنزل البحر، وجمع صالح بن علي السفن، وتجهز يريد مروان وهو بالفرماء، فسار على الساحل والسفن بمحاذاته في البحر حتى نزل العريش. (٦٣)

(٥٩) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٤٩ .وانظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ٢٨٣ .
(٦٠) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٥٠ .
(٦١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٨٨ ، وانظر : خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٥٣، والذهبي تاريخ الإسلام ، ج ٨ ، ص ٨ .
(٦٢) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٢٢٧ ، وانظر : نبيه عاقل ، تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٣١٨ .
(٦٣) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٤٤٠ .

ثالثاً: الموانئ ودور الصناعة: عندما افتتح المسلمون بلاد الشام ومصر كان لهذه البلاد موانئ حربية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، فاعتمد العرب المسلمون على هذه الموانئ في نشاطهم البحري مثل موانئ : عكا وصور وصيدا وطرابلس وبيروت واللاذقية وجبيل وعسقلان وغزة على سواحل بلاد الشام، ثم الإسكندرية ورشيد ودمياط والبرلس وتنيس وبرقة على سواحل مصر تلك الموانئ التي تم تحصينها وحمايتها وحراستها وشحنها بالمقاتلة، وذلك منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب وواليه على بلاد الشام معاوية بن أبي سفيان. (٦٤) وأشار البلاذري إلى ذلك إذ قال: فكلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها ما تحتاجه من الجند، فإن حدث شيء فيها من قبل العدو سرّبوا إليها الإمداد(٦٥) أما دور صناعة السفن فيمكن الإشارة إلى أن معاوية بن أبي سفيان كان قد أمر بجمع الصناع من النجارين فتم جمعهم ، ورتبهم في السواحل الشامية، وجعل مقر دار صناعة السفن في بلاد الشام هي عكا (وهي المدينة ذات الحصانة زمن الأمويين) جعلها معاوية دار صناعة للسفن في بلاد الشام ، بدلا من الاعتماد على دار الصناعة في مصر وحدها . (٦٦) ثم صور قال الواقدي: " لم تزل المراكب بعكا حتى ولي مروان (بن الحكم) فنقلوها إلى صور"، ولذلك كان ميناء صور

---

(٦٤) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ١٥٢، وانظر: السيد عبد العزيز سالم، وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ١٧، ومحمد المناصير، الجيش الإسلامي في العصر العباسي الأول ص٢٠٠ .

(٦٥) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ص ٣٤، وانظر: سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية ، ص ٦٨ .

(٦٦) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٢٤ ، ١٦١ ، : السيد عبد العزيز سالم ، وأحمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص ٤٩ .

دارا لصناعة السفن والتي استمرت إلى ما بعد العصر الأموي. (٦٧) ثم الإسكندرية وبها دار لصناعة السفن منذ عهد البطالمة والبيزنطيين ، فكانت تصنع سفناً تجارية وحربية، وتحمل المنجنيق وآلات قذف الحجارة ، والنيران ، ثم بعد الفتح الإسلامي لمصر كانت الإسكندرية من الموانئ التي تصنع السفن الحربية ، وخاصة بعد أن تولاها والي مصر الثاني المعروف عبدالله بن سعد بن أبي سرح . ثم دار صناعة الروضة، إذ أمر معاوية بن أبي سفيان في سنة ٥٤هـ/٦٧٣م بإنشاء دار صناعة للأساطيل وصناعة السفن الحربية، وذلك في عهد واليه على مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري، فكان مقر دار الصناعة هذه في جزيرة الروضة التي عرفت باسم "صناعة الروضة"(٦٨) ثم برقة (وبها دار لصناعة السفن منذ عهد الخليفة عبدالملك بن مروان). (٦٩) ثم تونس (كانت بها دار لصناعة السفن ، تمكنت فيما بعد من صناعة ما يكفيها من السفن لتغزو بها البيزنطيين في البحر الأبيض المتوسط وجزره صقلية وغيرها،(٧٠) فكان والي إفريقية حسان بن النعمان قد تولى لعبد الملك بن مروان سنة ٧٨هـ/ ٦٩٧م، قد أنشأ بفناء قرطاجنة دار

---

(٦٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٢٥ ، ١٦١ ، وياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ١٤٤ ، وانظر : ومحمد المناصير ، الجيش الإسلامي في العصر العباسي الأول ، ص ٣٠٤ ، وعلي الصلابي ، معاوية بن أبي سفيان ، ص ٤٢٢ .

(٦٨) انظر: سعاد ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية، ص ٣١٣، و: السيد عبد العزيز سالم ، وأحمد مختار العبادي تاريخ البحرية الإسلامية ، ص ٤٤ – ٤٦ ، وجمال الدين الشيال ، تاريخ مدينة الإسكندرية، دار المعارف ، القاهرة (د . ت) ص ٣٧ . و علي الصلابي ، معاوية بن أبي سفيان ، ص ٤٢٢ .

(٦٩) ابن خلدون، (العبر) تاريخ ، ج١ ، ص ٣١٤ ، والمقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص ١٩٠ ، وانظر : ومحمد المناصير، الجيش الإسلامي في العصر العباسي الأول ، ص ٢٠٧ .

(٧٠) انظر : السيد عبد العزيز سالم ، وأحمد مختار العبادي تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ٤٤ – ٤٦ .

صناعة لبناء السفن والأساطيل، وجلب لها الصناع من مصر، وعددهم ألف صانع ماهر من بناة السفن مع عائلاتهم لبناء الأسطول في موضع مدينة تونس الحالية في شمال إفريقية. (٧١) ويظهر أن أول أسطول عربي تم بناؤه كان في زمن الخليفة عثمان بن عفان، على يد واليه على الشام معاوية بن أبي سفيان، إذ أنشأ السفن والشواني ليغزو بها في البحر المتوسط ضد البيزنطيين، وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر للخليفة معاوية بن أبي سفيان، هو الذي بدأ ببناء نواة الأسطول المصري في العصر الإسلامي، لأن مصر كما هو معروف كانت معروفة بمهرة صناع السفن، وكثرة دور الصناعة، إذ زود السواحل والثغور الشامية بالسفن ، ولكن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يستجلب الأخشاب من غابات الأرز من بلاد الشام لصناعة السفن الحربية للدفاع عن سواحل الشام ومصر، وظلت مصر تمد الأساطيل الإسلامية حتى سنة ٤٨هـ/ ٦٦٩م إلى أن كثرت غارات الروم في حوض البحر الأبيض المتوسط ، فتم إنشاء دور لصناعة السفن في سواحل الشام (لتوفر الأخشاب في بلاد الشام) إلى جانب دور الصناعة بمصر، زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان، فتم إنشاء السفن الحربية وغيرها من المراكب الخاصة بنقل المؤن، والعتاد. (٧٢) ويشير أرشيبالد إلى أن هناك ثلاثة

---

(٧١) ابن خلدون ، المقدمة ، ج٢ ، ص ٦٢٨ ، وانظر : أرشيبالد، القوى البحرية والتجارية ، ص ١٠٠ – ١٠١ ، وطاهر حبوش ، أوائل العرب عبر العصور (العصر الأموي)، ج٣ ، ص ٢١٥ .

(٧٢) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ١٢٤، وانظر: سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص ٣٠٠، و: السيد عبد العزيز سالم، وأحمد مختار العبادي تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ١٧– ١٨.

أساطيل قد تكونت وتشكلت في نهاية المطاف منذ بواكير العهد الأموي في صراعهم مع البيزنطيين، وهي: الأسطول الشامي، والأسطول المصري، والأسطول الإفريقي، ويذكر أن الأسطول المصري والأسطول الشامي كانا أكثر تعاوناً وتشاركا في النزاع ضد البيزنطيين في البحر الابيض المتوسط، إلا إن الأسطول الإفريقي كان مستقلا بعملياته عنهما في نزاعه مع البيزنطيين في البحر الأبيض المتوسط. (٧٣) أما أعداد السفن التي تم ذكرها واستخدامها في الحروب البحرية، فيشار إلى أن معاوية كان قد ركب البحر من عكا، ومعه مراكب كثيرة، عندما سار لفتح قبرص سنة ٢٨هـ/ ٦٤٨م،(٧٤) وتذكر المصادر الأجنبية مثل سيبيوس، أن عدد السفن التي غزا بها معاوية بيزنطة (عدد السفن الكبرى ثلاثمائة، كل منها يحمل ألف رجل، وعدد الطرادات خمسة آلاف كل منها يحمل مائة رجل، "وأن هذه السفن كانت مزودة بآلات القذف التي تتكون من المجانيق وآلات رمي الحجارة وبالأبراج العالية التي تستعمل في تسوّر صرح الأسوار المحصنة"(٧٥) وكان عدد المراكب التي غزا بها معاوية بن حديج صقلية في حدود سنة ٤٦هـ/٦٦٦م، حوالي مائتا مركب (٧٦)

---

(٧٣) أرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية ، ص ١١٥ – ١١٦ .

(٧٤) الواقدي ، فتوح البلدان، ص ١٥٧، والبلاذري، فتوح البلدان، ص ١٦٠، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١ ، ص ٩١.

(٧٥) سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص ٣١٣ .

(٧٦) البلاذري، فتوح البلدان ، ص ٢٣٧، وانظر: علي الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، ص ٣٨٠، وشكري فيصل ، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري، ص ١٦١ .

ويذكر أن عدد المراكب التي حاصرت القسطنطينية سنة ٩٨هـ/٧١٦م زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك بلغت ألف مركب.(٧٧)

كما يذكر أنه في سنة ١١١هـ/ ٧٢٩م، غزا القائد البحري المستنير بن الحارث الروم في البحر، وحاصرهم بثمانين ومائة مركب. (٧٨)

وهكذا، فإن الأمثلة التي أوردتها المصادر حول أعداد السفن التي حاربت الروم خلال العهد الأموي، ما هي إلا إشارات أولية للأعداد الكبيرة للسفن الحربية التي تم صنعها ليؤثروا بذلك هذا التأثير الكبير على سيادتهم للبحر الأبيض المتوسط، والسيطرة على عدد من الجزر فيه.

رابعًا: أنواع السفن:

أشار البلاذري في كتابه "فتوح البلدان" إلى ما استخدمه العرب في حروبهم البحرية إلى كلمة "مراكب" قال في معرض حديثه عن غزو معاوية لقبرص في المرة الأولى "فركب البحر من عكا ومعه مراكب كثيرة سنة ٢٨ هجرية "(٧٩) وفي الغزوة الثانية سنة ٣٣هـ قال البلاذري "غزاهم معاوية في خمسمائة مركب"(٨٠)، ولكن عندما غزا طارق بن زياد الأندلس سنة ٩٢هـ أشار البلاذري إلى كلمة "السفن" إذ

---

(٧٧) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣١٥، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٢٦٩ .
(٧٨) خليفة بن خياط ، تاريخ ،ص ٣٤١.
(٧٩) البلاذري ،فتوح البلدان ،ص٢٠٨.وانظر : محمد الحموي ،تاريخ الأسطول العربي ،ص١٤.
(٨٠) المصدر نفسه ،ص٢٠٩.وانظر خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص٣٤١.

قال: حمله وأصحابه إلى الأندلس في السفن "(٨١) ونقل البلاذري عن الواقدي قال "لم تزل المراكب بعكا حتى ولي بنو مروان فنقلوها إلى صور"(٨٢) .

ويُعرِّف درويش النخيلي في كتابه السفن الإسلامية علة حروف المعجم "المركب" قال: "الجمع مراكب ويقال مركب للسفينه استعمله الناس"(٨٣).

ويذكر أحمد الشامي في بحثه: "العرب وصناعة السفن " أن العرب ركبوا البحر وعرفو صناعة السفن منذ عصور موغلة في التاريخ عندما اهتدى الإنسان إلى شق مياه البحار باستخدام المركب ذي الصاري والشراع.. وأن العرب اقتصرت معرفتهم على المراكب المدنية منذ عصور ما قبل الإسلام أن معرفتهم مراكب الحرب والقتال (الأسطول) تمت في عصر صدر الإسلام في عهد الخليفة عثمان بن عفان "(٨٤) ويشير ابن خلدون في مقدمته إلى أن العرب كانوا قد أنشئوا في البحر المتوسط " السفن والشواني وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح "(٨٥)، ولذلك كانت الشواني هي أقدم أنواع السفن الحربية التي عرفها المسلمون والتي اهتموا بصناعتها وأكثروا من تعدادها فكانت أهم القطع لديهم في حروبهم في البحر المتوسط في القرون الأولى من الإسلام(٨٦).

---

(٨١) المصدر نفسه، ص٣٢٣
(٨٢) المصدر نفسه ، ص١٦١.
(٨٣) درويش النخيلي ، السفن الإسلامية على حروف المعجم ، ص١٤٠.
(٨٤) أحمد الشامي "العرب وصناعة السفن " ، كتاب الحضارة الإسلامية وعالم البحار ، اتحاد المرخين العرب ،القاهرة ،١٩٩٤م، ص١٣٥، ١٣٧
(٨٥) ابن خلدون ، المقدمة ،ص٤٤٨.
(٨٦) انظر: محمد الحموي ، تاريخ الأسطول العربي ، ص ٥٦.

ويشار إلى الشاني أو الشيني أو الشوني بأنها سفينه حربية كبيرة وهي أهم قطع الأسطول الحربي في الدولة الإسلامية وهي أصل للسفن الحربية الأخرى مثل الغراب والطريدة والجفنة والحراقة؛ لأن هذه السفن أصغر من الشيني التي تسير بمائة وأربعين مجدافاً وفيها ما يقرب من ١٥٠ مقاتلاً عدا من يعملون على المجاديف(٨٧).

وبعد الاطلاع على ما كتبه الباحثون حول السفن الإسلامية والأسطول الإسلامي الحربي فلم نجد عندهم تحديداً لأسماء أنواع السفن الحربية في العصر الأموي إذ طالعنا في هذا الباب ما كتب عند: سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية، ومحمد الحموي: تاريخ الأسطول العربي، وأحمد الشامي: بحث:"العرب وصناعة السفن " ، ودرويش النخيلي : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، وغيرها ..ولذلك نشير إلى ما ذكره كل من البلاذري وخليفة بن خياط اللذين ذكرا كلمة " مراكب " كثيرا في رواياتهم حول الأسطول البحري في زمن الأمويين ، وأحيانا تذكر كلمة " السفن " للدلالة على السفن الحربية في مواجهة أسطول الروم في البحر المتوسط .

خامسًا: القادة البحريون:

اشتهر عدد من القادة البحريون الذين قادوا الحملات البحرية (الصوائف والشواتي) ضد الروم في البحر الأبيض المتوسط ، ابتداء منذ أول تماس عسكري

---

(٨٧) أحمد الشامي، بحث : " العرب وصناعة السفن " مرجع سابق ، ص ١٥٨.

بحري بين المسلمين والبيزنطيين ، فيذكر الطبري أن قائد الحملة البحرية ، كان يحمل لقب "صاحب البحر" وذلك في الرواية الخاصة بأسر الروم للقائد البحري خالد بن كيسان (صاحب البحر) في حوادث سنة ٩٠هـ/ ٧٠٨م، (٨٨) وكان يطلق على المقاتلة في البحر "جيش البحر" كما ورد في رواية في حوادث سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م، بعبارة" وأمّر على جيش البحر "الأسود بن بلال المحاربي"(٨٩).

ومن هؤلاء القادة البحريين: عبد الله بن قيس الحارثي، حليف بني فزارة، الذي استعمله معاوية على البحر زمن الخليفة عثمان بن عفان(٩٠) وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، الذي كان على أسطول مصر ، زمن الخليفة عثمان ، وشارك في معركة ذات الصواري سنة ٣٤ هـ/ ٦٥٤ م،(٩١) وبسر بن أبي أرطأة(٩٢) ومعاوية بن حديج(٩٣) وعقبة بن عامر(٩٤) ومالك بن ومالك بن هبيرة السكوني(٩٥) وعقبة بن نافع الجهني. (٩٦) ويزيد بن شجرة الرهاوي(٩٧) وفضالة بن عبيد(٩٨) وجنادة بن

---

(٨٨) انظر: الطبري ، تاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٤٢ .

(٨٩) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٢٢٧ ، وانظر : ص ٦٧ .

(٩٠) الطبري ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ٥١ – ٥٣ ، و البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٥٩ ، ١٦١ .

(٩١) انظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص ٩١ ، والذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٣ ، ص ٤٢٠ .

(٩٢) الطبري ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٤ ، وانظر : نبيه عاقل ، تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٨٥ .

(٩٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٣٧ .

(٩٤) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٤ ، ص ٢٧٨ ، وا بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص ١٣٧ .

(٩٥) الطبري ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٣١ .

(٩٦) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٩٧) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص ٢٣٢ ، ٣٠١ ،

(٩٨) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٤ .

أبي أمية الأزدي(٩٩) ومسلمة بن مخلد،(١٠٠) وعمرو بن يزيد الجهني، (١٠١) وعلقمة بن جنادة الحجري، وعلقمة بن الأختم، (١٠٢) وعبد الرحمن بن أبي الكنود، (١٠٣) وعطاء بن رافع وعمران بن شراحيل، (١٠٤) والمغيرة بن أبي بردة العبدي، (١٠٥) وموسى بن نصير وأبنه عبد الله بن موسى، (١٠٦) وعبد الله بن حذيفة الأزدي، (١٠٧) ومسلمة بن عبد الملك، (١٠٨) وخالد بن كيسان،(١٠٩) وطارق بن زياد،(١١٠) والعباس بن الوليد،(١١١) وعمر بن هبيرة الفزاري،(١١٢) ومحمد بن أوس الأنصاري،(١١٣) ويزيد بن مسروق اليحصبي،(١١٤) وعمر بن فاتك الكلبي،(١١٥) ومحمد بن أبي بكر مولى بني جمح (١١٦) ومعاوية بن هشام بن عبد الملك، **(١١٧)**

(٩٩) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص ٢٨٨ .
(١٠٠) بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص ١٢٧ ، ١٣٣ .
(١٠١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .
(١٠٢) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٤٢٧ .
(١٠٣) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٥ ، ص ٣٤٢ ، وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص ٢٠٠ .
(١٠٤) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٦ ، ص ١٨ .
(١٠٥) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٢٩٢ .
(١٠٦) الطبري ، تاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٥٤ ، و خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠٠ ، ٣٠٢ .
(١٠٧) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠٠ .
(١٠٨) المصدر نفسه ، ص ٣٠١ .
(١٠٩) الطبري ، تاريخ ، ج ٦ ، ص ٢٤٢ .
(١١٠) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠٤ ، وانظر :ا بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص ٢٢٥ .
(١١١) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٠٦ ، و الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٦ ، ٢٦١ .
(١١٢) الطبري ، تاريخ ، ج ٦ ، ص ٥٢٤ .
(١١٣) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٢٦ .
(١١٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢٨ .
(١١٥) المصدر نفسه ، ص ٣٣٠ .
(١١٦) المصدر نفسه ، ص ٣٣٦ .

وقثم بن عوانة الكلبي،(١١٨) وحسان بن محمد بن أبي بكير مولى بني جمح، (١١٩) وعبد الرحمن بن معاوية بن حديج،(١٢٠) وعثمان بن أبي عبيدة، (١٢١) وعبد الله بن أبي مريم، (١٢٢) والمستنير بن الحارث، (١٢٣) وثابت بن خثيم، (١٢٤) وعبد الملك أو عبد الله بن قطن، (١٢٥) وبكر بن سويد،(١٢٦) وحبيب بن أبي عبيدة، بن عقبة الفهري،(١٢٧) والغمر بن عبد الملك، (١٢٨). وهكذا فإن المصادر تشير إلى ثلاثة وأربعين قائدًا بحريًّا (صاحب بحر) كانوا على رأس الحملات البحرية التي كانت موجهة ضد البيزنطيين في البحر الأبيض المتوسط وسواحله.

---

(١١٧) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٤٠ ، و ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص ٢٦١ .
(١١٨) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٣٨ ، ٣٤٩ .
(١١٩) المصدر نفسه ، ص ٣٣٩ .
(١٢٠) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٤٦ ، ٥٤ .
(١٢١) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٤٠ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ .
(١٢٢) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٦٧ ،
(١٢٣) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٣٤١ .
(١٢٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤٣ .
(١٢٥) المصدر نفسه ، ص ٣٤٥ .
(١٢٦) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٢٢٧ .
(١٢٧) المصدر نفسه ، ص ٣٤٧ .
(١٢٨) المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ ، ٣٥٣ ، و ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص ٢٨٨

سادسًا: الخاتمة: ناقش هذا البحث موضوع "الأمويون والبحر الأبيض المتوسط" وتبين أن هناك جملة من النتائج أهمها: – كان لفتح العرب لبلاد الشام ومصر ابتداء تحديًّا كبيرًا لهم بسبب تفوق البيزنطيين في البحر، ولكن سرعان ما اتخذ العرب المسلمون قرارهم بالتصدي لهذا الخطر، فأنشئوا الأسطول الحربي البحري منذ زمن الخليفة عثمان بن عفان، وعلى يد واليه على بلاد الشام معاوية بن أبي سفيان .

تم بناء دور للصناعة منذ البدايات في الإسكندرية، وعكا، وصور، وجزيرة الروضة، وبرقة، وقرطاج، وتونس، حتى أصبح الأسطول الإسلامي منافسا قويا ومسيطرا على معظم أجزاء البحر الأبيض المتوسط .

– تأسست ثلاثة أساطيل للمسلمين في البحر الأبيض المتوسط في العصر الأموي وهي: الأسطول الشامي، والأسطول المصري، والأسطول الإفريقي، وكان الأسطولان الشامي والمصري متعاونين مع بعضهما البعض للتصدي للأسطول البيزنطي في سواحل بلاد الشام ومصر، وفي عرض البحر الأبيض المتوسط، أما الأسطول الإفريقي فكان يعمل ضد البحرية البيزنطية في البحر المتوسط وجزره مستقلا عن الأسطولين الشامي والمصري، وذلك بعد تاريخ ٧٨هـ/ ٧٠٥م، زمن الخليفة عبد الملك بن مروان ومن جاء بعده من خلفاء بني أمية .

– هزم الأسطول الإسلامي الأسطول البيزنطي في أكثر من معركة بحرية منها على سبيل المثال: معركة ذات الصواري ٣٤هـ/ ٦٥٤م، ومحاصرة القسطنطينية سنة ٩٨هـ/٧١٦م، وغزو جزيرة قبرص ٢٨هـ/ ٦٤٨م، وجزر سردينية، وصقلية، وأرواد، وغيرها من الجزر التي كانت تابعة للروم، وتوجت الحملات البحرية بفتح الأندلس سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م .

– إن الغزوات البحرية لم تتوقف طيلة العصر الأموي، فكانت سنوية ضد البيزنطيين في البحر المتوسط فيما كان يعرف ب (الشواتي والصوائف) أي الغارات البحرية الشتوية والصيفية ، وذلك من أجل إضعاف القوة البحرية البيزنطية، وحماية سواحل بلاد الشام ومصر والشمال الإفريقي ، التابع للدولة الأموية في ذلك الوقت.

– اشتهر عدد كبير من القادة البحريين الذين كانوا على رأس الحملات البحرية ضد البيزنطيين في البحر المتوسط، وقد أحصينا ٤٣ قائدا بحريا، قاموا بغزو الروم في العصر الأموي، ويطلق على الواحد منهم (صاحب البحر) وعلى المقاتلة (جيش البحر) كما ورد ذلك في كتاب تاريخ الطبري ، في أكثر من رواية.

– أشار كل من خليفة بن خياط، والبلاذري إلى ذكر كلمة (مراكب) و(سفن) إلى القطع البحرية الإسلامية المشاركة في الحروب مع الروم في البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم).

– كان الالتحاق بالبحرية الإسلامية اختياريًّا وتطوعيًّا، وليس إجباريًّا وتنظيميًّا، في بداية الأمر، ثم أصبح فيما بعد منظمًا، ويبدو أن (جيش البحر) كان زمن الأمويين يتبع إلى ديوان الجند بعد التوسع في تأسيس الأسطول، ودور صناعة السفن، لصد الخطر البيزنطي الماثل آنذاك في البحر الأبيض المتوسط .

سابعًا : المصادر والمراجع :

المصادر :

١ – ابن الأثير(ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ١١ج، تحقيق: أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م .
٢ – البلاذري، أحمد بن يحيى، (ت ٢٧٩ هـ /٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله الطباع، ط١، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧.
٣ – ابن تغري بردي (ت٨٧٤ هـ/١٤٧٠ م)، النجوم الزاهرة، دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٢٩ م.
٤ – ابن خلدون، عبد الرحمن،(ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله الدرويش، ط١، دار العرب، دمشق، ٢٠٠٤ م .
٥ – ابن خلدون،(العبر) : تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني،١٩٨٣م
٦– خليفة بن خياط،(ت ٢٤٠ هـ/٨٥٤ م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم العمري، ط٢، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٧ م .
٧– الذهبي(ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م) تاريخ الإسلام، تحقيق عبد السلام تدمري، ط٢، دار الناشر العربي، ١٩٩٠.
٨– وأبو زرعة الدمشقي (عبد الرحمن بن عمر): (ت ٢٨١هـ/٨٩٤م) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، وضع حواشيه خليل منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.
٩ – الطبري (محمد بن جرير) (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١١ج، دار المعارف، ط٢، مصر، ١٩٦٧م.
١٠ – ابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ/٨٧٠م) فتوح مصر، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة،١٩٦١م .

المراجع:

١ – إبراهيم العدوي، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، مكتبة نهضة مصر، الفجالة

٢ - إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون (البحر المتوسط بحيرة إسلامية)، مكتبة الانجلو المصرية، (د . ت) .

٣- أحمد الشامي: بحث: "العرب وصناعة السفن " كتاب : الحضارة الإسلامية وعالم البحار (بحوث ودراسات) منشورات اتحاد المؤرخين العرب، ١٩٩٤م.ص ١٣٥- ١٦٢.

٤ – أرشيبالد .ر. لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ – ١١٠٠م، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).

٥ - : أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٠..

٦ – جمال الدين الشيال، تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة (د . ت).

٧ – حسن صالح شهاب، فن الملاحة عند العرب، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة ، ط١ ، بيروت، ١٩٨٢م.

٨ – سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، وزارة الثقافة، دار الكاتب العربي، القاهرة ، ١٩٦٧، (المقدمة).

٩ – سعد المومني، القلاع الإسلامية في الأردن في العصرين الأيوبي والمملوكي، دار البشير، ط١، عمّان، ٢٠٠٨ م .

١٠ – السيد عبد العزيز سالم، واحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩ م .

١١ – شكري فيصل، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري.

١٢ – طاهر حبوش، أوائل العرب عبر العصور (العصر الأموي)، بغداد، ١٩٩١م.

١٣ – علي الصلابي، معاوية بن أبي سفيان، مكتبة الإيمان، المنصورة، (د. ت).

١٤ – فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، (الكتاب الثاني في التاريخ الحربي)، دار الكتاب العربي، القاهرة.

١٥– محمد الحموي ،تاريخ الأسطول العربي ،نشر فؤاد هاشم الكتبي ،دمشق، ١٩٤٥م.

١٦– محمد المناصير، الجيش الإسلامي في العصر العباسي الأول، مجدلاوي، ط١، دار عمّان، ٢٠٠٠ م .

١٧ – نبيه عاقل، تاريخ خلافة بني أمية، دار الفكر، ط٣، دمشق ، ١٩٧٥.